العرب
السبت 2021/05/01
السنة 43 العدد 12047

الهجمات الإسرائيلية على إيران غير مجدية

التخريب والعقوبات الاقتصادية حلول طويلة الأمد للمأزق مع طهران

تمثل العقوبات على البرنامج النووي والنشاط الاستخباراتي الإسرائيلي وعمليات اختراق المنشآت النووية الإيرانية سلاحا ذا حدين لتل أبيب في مواجهة التهديدات النووية الإيرانية. فهي ولئن نجحت فعلا في إبطاء وتعطيل تقدم البرنامج النووي الإيراني كما إضعاف موقف إيران التفاوضي، فإنها لم تردع طموحات إيران النووية بل اعطت النظام في طهران ورقة "الشرعية" التي يقنع بها شعبه بأحقيته في امتلاك السلاح النووي وضرورة تحمل قسوة العقوبات من أجل مستقبل برنامج بلده النووي.

طهران – أدت الأنشطة السرية الإسرائيلية داخل إيران بلا شك إلى تأخير إنتاج المواد التي تحتاجها إيران لصنع قنبلة نووية. وتم نشر الجواسيس قبل أشهر لزرع متفجرات داخل محطة نووية إيرانية، كما شنت إسرائيل هجوما إلكترونيا لتعطيل أجهزة الكمبيوتر التي تتحكم في أجهزة الطرد المركزي، واغتيلت عالم نووي بارز، كل حادثة من هذه الحوادث يمكن أن تشكل حلقة في قصة تجسس مثيرة.

ومع ذلك تبدو الهجمات الإسرائيلية على إيران غير مجدية ولم تحقق نتائج ناجعة حسب ما لاحظه انشال فوهرا في تقريره على مجلة فورين بوليسي.

وفيما أدت هذه الهجمات السرية، إلى جانب العقوبات التي فرضتها واشنطن في السنوات الأخيرة، إلى إحداث اضطرابات في إيران إلا أنها لم تنجح في إقناع الجمهورية الإسلامية بالتخلي عن طموحاتها النووية تماما. وبدلا من ذلك، فشلت في تغيير نهج إيران في المفاوضات النووية، بل وعززت هذه المحاولات من عزمها على مواصلة تخصيب اليورانيوم وبالتالي تصنيع سلاح نووي.

حادثة نطنز

في 11 أبريل الماضي تسبب انفجار في انقطاع التيار الكهربائي في موقع تخصيب اليورانيوم في نطنز، أحد المنشآت النووية الإيرانية المعروفة. وتوقفت الأنشطة النووية هناك من بضعة أسابيع إلى تسعة أشهر، وفقا لضباط استخبارات إسرائيليين وأميركيين.

ويعد هذا الهجوم الثالث والثاني خلال عام على محطة نطنز النووية. وفي يوليو الماضي انفجرت قنبلة في جزء من المبنى كان ينتج مجموعة جديدة من أجهزة الطرد المركزي مما أخر البرنامج لشهور.

وقال الخبراء إن كلا الهجومين كان من الممكن تنفيذهما فقط من خلال التسلل الجسدي. وقد تم شن الهجوم الأول على نطنز منذ أكثر من عقد. وقام سلاح إلكتروني يسمى "ساكس نت" بتعطيل 1000 جهاز طرد مركزي من إجمالي 5 آلاف جهاز.

وأجهزة الطرد المركزي هي أجهزة أسطوانية تدور بسرعات عالية لعزل اليورانيوم 235، وهو نظير مشع يولد الطاقة عند تخصيبه بنسبة أقل من 5 في المئة ويتحول إلى وقود للقنبلة النووية عند تخصيبه بنسبة 90 في المئة.

وأدى هذا الهجوم إلى تأخير البرنامج لمدة 18 شهرا إلى عامين. وفي نوفمبر الماضي قُتل محسن فخري زاده، وهو عالم نووي إيراني يعتقد أنه العقل المدبر وراء البرنامج النووي الإيراني، بالقرب من طهران بسلاح مسير. وتم اغتيال سبعة علماء ومسؤولين عسكريين إيرانيين آخرين مرتبطين بالبرنامج النووي منذ عام 2007.

لكن لم تؤكد إسرائيل ولم تنف مسؤوليتها عن أي من هذه الهجمات. واعترفت فقط بسرقة مجموعة من الوثائق في عام 2018 والتي كشفت كيف كان فخري زاده يضع خططا مفصلة لمواصلة تطوير قنبلة سرا، وبالتالي انتهاك شروط الاتفاق النووي الموقع في عام 2015 بين إيران والقوى العالمية بما في ذلك الولايات المتحدة سرا.

وأدى نشاط إسرائيل السري بالفعل إلى إبطاء صناعة القنبلة، ويعتقد بعض ضباط المخابرات الإسرائيلية أن هذا هو السبيل الوحيد لاحتواء برنامج إيران النووي. كما يؤكد هؤلاء أن إحياء الاتفاق النووي لن يردع طموحات إيران النووية، ولكنه سيكون بمثابة مكافأة غير مبررة من شأنها إضفاء الشرعية على تخصيب اليورانيوم وتمهيد الطريق لإيران لصنع القنبلة.

ويزعم ضباط المخابرات الإسرائيلية أيضا أن رفع العقوبات سيسمح لإيران ببيع نفطها وملء خزائنها الفارغة واستخدام جزء كبير من السيولة لتمويل ميليشياتها المختلفة في المنطقة. ويقولون كذلك إنه بدلا من التوصل إلى اتفاق، يجب استخدام الضغط الاقتصادي والعسكري لإكراه إيران على الحد من نفوذها في المنطقة.

لكن كثيرين غيرهم يختلفون ويقولون إن الهجمات الإسرائيلية المتكررة فشلت في إقناع إيران بالتخلي عن تصنيع القنابل أو إقناع إدارة بايدن بعقد صفقة أكثر صعوبة في المحادثات التي تم تجديدها مؤخرا.

ووظفت إيران الهجوم الأخير لزيادة تخصيب اليورانيوم من 20 في المئة إلى 60 في المئة، مما أدى إلى تقصير وقت الاختراق اللازم لصنع قنبلة.

ولاحظ علي فايز مدير مشروع إيران في مجموعة الأزمات الدولية أن الهجمات الإسرائيلية السرية أدت فقط إلى تأخير ولم تقلص بشكل دائم الأنشطة النووية الإيرانية. وأشار إلى أنهم إذا استمروا في هذه الهجمات، فإنهم سيشجعون المتشددين الإيرانيين الذين يضغطون من أجل تطوير سلاح نووي.

وقال فايز "أعمال التخريب والعقوبات أدت فقط إلى النمو الهائل لبرنامج إيران النووي. الدبلوماسية فقط هي التي ردعتها".

في المقابل، دافع يوسي كوبرفاسر، وهو عميد متقاعد في الجيش الإسرائيلي ورئيس الأبحاث في المخابرات العسكرية، عن الأنشطة السرية كجزء من جهد شامل شمل ضغوطا اقتصادية وخيارا عسكريا موثوقا به.

وأوضح كوبرفاسر "إنها سياسة طويلة الأمد، ولا أرى فائدة في السؤال عما إذا كانت السياسة ناجحة أم لا. وفي هذا الوقت، تعمل الأنشطة السرية أيضا على توضيح أن هناك طرقا أخرى للتعامل مع المشروع النووي الإيراني غير شراء الوقت مقابل ضمان مسار آمن لإيران للحصول على ترسانة نووية كبيرة".

ولطالما عارضت إسرائيل صفقة الاتفاق النووي من دون عرض مخاوف مشروعة.

ويصر الإسرائيليون على أن الصفقة ليست حلا سحريا لصراعهم مع إيران وتجلب مخاطر أمنية إضافية مثل توسع الميليشيات الإيرانية على حدود إسرائيل. لكن على عكس الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، الذي كان يحقق الأمنيات لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، لا يرغب جو بايدن في تكرار الأمر.

رسائل إلى بايدن

يعتقد محللون ومتابعون أن الهجمات الأخيرة كانت تهدف إلى إيصال رسالة إلى إدارة بايدن أكثر من عرقلة برنامج إيران النووي.

وكانت الفكرة هي ثني الولايات المتحدة عن إجراء محادثات أو على الأقل الاستفادة من عدم قدرة إيران على حماية موقعها النووي للحصول على المزيد من التنازلات في المفاوضات حيث تشعر إسرائيل بالقلق من احتمال انضمام بايدن إلى الصفقة في شكلها السابق. وكان الهدف من الهجمات الأخيرة أن تُظهر إسرائيل للولايات المتحدة أنها قادرة على التصدي بمفردها لإيران، سواء وافق بايدن أم لا.

وقالت سنام وكيل نائب المدير وزميل باحث كبير في برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في تشاتام هاوس، إن استراتيجية إسرائيل الاستباقية مصممة للضغط على إدارة بايدن للتعامل مع أنشطة إيران الإقليمية، حيث لا يتطلع فريق بايدن حاليا إلى تعديل خطة العمل الشاملة المشتركة.

واعتبرت أن الهدف في الوقت الحالي هو إجبار إيران للامتثال للصفقة ودحر التقدم في برنامجها. واستبعدت وكيل أن تسعى الولايات المتحدة للحصول على المزيد من التنازلات التي قد تهدئ المخاوف الإسرائيلية. واستنتجت بالقول "في حالة نجاح هذه العملية، فسيكون الهدف، بمرور الوقت، هو تعزيز وإطالة الصفقة لبناء الجداول الزمنية وبعض البنود، وربما حتى معالجة قضية الصواريخ الباليستية العابرة للقارات".

ويبلغ مدى الصواريخ الباليستية الإيرانية 2000 كيلومتر كحد أقصى، بينما يبلغ مدى الصواريخ الباليستية الإسرائيلية 5 آلاف كيلومتر.

الهدف من الهجمات الأخيرة أن تُظهر إسرائيل للولايات المتحدة أنها قادرة على التصدي بمفردها لإيران

وفيما يخلص المتابعون إلى أن للتخريب والعقوبات الاقتصادية المطولة تأثيرا تكتيكيا من خلال إضعاف موقف إيران التفاوضي في المفاوضات حول مستقبل برنامجها النووي، لكن يبقى السؤال الاستراتيجي المهم هنا هو ما إذا كانت إسرائيل والولايات المتحدة ستفهمان، ومتى، أن أيّا منهما لا يقدم حلا طويل الأمد للمأزق مع إيران.

تيغراي جوهرة ثقافية وتاريخية تئنّ تحت الحصار

أديس أبابا – مرّت ستة أشهر على إرسال رئيس الوزراء الإثيوبي أبي أحمد قوات إلى تيغراي في إطار حملة عسكرية تعهّد بأن تكون سريعة ومحددة الأهداف. لكن العنف لا يزال يتواصل فيما يتحدث تقرير تلو الآخر عن مجازر وجرائم اغتصاب واتّساع رقعة الجوع، كما تئن المواقع التراثية والدينية تحت الحصار.

العالم على دراية بالمذابح والاغتصاب الجماعي والأشكال الأخرى من المعاناة الإنسانية التي تسبب بها النزاع

وأمضى الحاج سراج محمد خمسة عقود في إدارة مسجد النجاشي الشهير في منطقة تيغراي في شمال إثيوبيا حيث بقي يرحّب بالمصلين حتى خلال فترات الصراعات والمجاعة. لكن عندما اندلعت الحرب العام الماضي في الإقليم، شهد على أمر كان يظنه مستحيلا، إذ استحال المسجد، وهو من الأقدم في أفريقيا هدفا لرصاص المقاتلين.

وفي أواخر نوفمبر، سار جنود إثيوبيون وإريتريون في بلدة نجاش حيث يقع المسجد متجهين جنوبا نحو العاصمة الإقليمية ميكيلي.

واستمع سراج برعب لأصوات القذائف التي كانت تنهال على قبة المسجد وقاعة الاجتماعات، تاركة المكان مليئا بالغبار والأنقاض.

وأشار هذا الرجل البالغ 78 عاما في تصريحات صحافية "ليس نحن فقط، بل المسلمون في كل أنحاء العالم مصدومون لما حدث".

ومرت ستة أشهر منذ اندلاع القتال في تيغراي، والعالم على دراية بالمذابح والاغتصاب الجماعي والأشكال الأخرى من المعاناة الإنسانية التي تسبب بها.

ومع استمرار الحرب بلا نهاية تلوح في الأفق، يدق خبراء ناقوس الخطر بشأن مصير أماكن العبادة في المنطقة بما فيها الأديرة والكنائس المحفورة في الصخور.

وقال ألولا تيسفاي أسفاها وهو مواطن من تيغراي وباحث في التراث الثقافي والتخطيط الحضري في جامعة تسوكوبا اليابانية "أشعر أحيانا بالسوء للتحدث عن التراث لأن القصص التي نسمعها حول ما يحدث للناس أسوأ بكثير". وأضاف "لكن كونه جزءا من التاريخ العام، فإن التراث مهم جدا".

وأرسل أبي أحمد قوات إلى تيغراي في نوفمبر الماضي لإطاحة الحزب الحاكم الإقليمي الذي كان مهيمنا في السابق، وهو جبهة تحرير شعب تيغراي.

وتتهم حكومته جبهة تحرير شعب تيغراي ببدء الحرب بعد مهاجمة معسكرات للجيش كما تتهمها بتعريض المدنيين والمواقع التراثية للخطر.

وهناك مخاوف من تعرض مواقع التراث الأخرى في تيغراي لأضرار مماثلة أو حتى أسوأ منها.

وأوضح ألولا وفولبرت سميت، وهو مؤرخ أعراق يركز على شعب تيغراي في جامعة جينا في ألمانيا، إنهما تلقيا تقارير عن إطلاق نار وقصف على دير ديبري دامو الذي يعود تاريخه إلى القرن السادس والواقع في شمال مدينة أديغرات.

وقد أعرب أكثر من 20 باحثا عن قلقهم بشأن مصير الدير في رسالة مفتوحة في ينايير دعوا فيها إلى "إنقاذ تراث تيغراي الثقافي".

وفي سائر أنحاء تيغراي، حوّلت المواقع الدينية إلى مسارح جرائم مروعة.

وفي بلدة دينغولات، اختبأ المئات من السكان في كنيسة أرثوذكسية عمرها قرون فيما قتل جنود إريتريون بالرصاص أكثر من 160 مدنيا في أواخر نوفمبر، حسب تقارير إعلامية.

وفي الوقت نفسه تقريبا، قتل جنود إريتريون المئات من المدنيين في مدينة تيغراي القديمة في أكسوم، وهي أحد مواقع التراث العالمي لليونسكو، من بينهم مسيحيون أرثوذكس كانوا يشاركون في مهرجان تقليدي، وفقا لهيومن رايتس ووتش.

وقال سميت إن هذا النوع من العنف يحطم عرفا سائدا منذ فترة طويلة في إثيوبيا، تعتبر بموجبه الكنائس حتى في زمن الحرب، أنها "نوع من العالم الموازي" حيث تكون "الحماية مطلقة".

وأضاف "لكن يبدو أن الرسالة الآن كما يفهمها المؤمنون التقليديون وفقا لتقاريري: نحن لا نهاجم القادة، بل نهاجم المجتمع. لم يعد هناك أماكن مقدسة ولا أماكن للجوء ولا خيارات لتجنب حرب".

والمواقع التراثية الأخرى التي أفيد بأنها تضررت جراء القتال غير معروفة كثيرة لكن الباحثين لا يزالون يرون أن تدميرها يحمل الأهمية نفسها.

وأشار إلى أن "الأجيال المقبلة ستكون قادرة على سرد قصة ما حدث خلال هذا الوقت، وربما يمكنها أخذ العبر من هذه المشكلات بطريقة تؤدي إلى إحلال السلام".

وتحظى منطقة تيغراي بوزن ثقافي واقتصادي وسياسي هائل احتفظت به عبر التاريخ، وهي إحدى المناطق الإدارية العشر التي تتألف منها إثيوبيا المقسمة وفق نظام "فيدرالية إثنية".

ومعظم سكانها من أقلية التيغراي التي تضم حوالي ستة ملايين نسمة، ما يساوي أقل من 6 في المئة من مجموع الإثيوبيين البالغ عددهم 110 ملايين نسمة.

ولعب إقليم تيغراي دورا محوريا في تاريخ إثيوبيا ولاسيما على الصعيد الديني، وهو اليوم بفعل تراثه إحدى الوجهات السياحية الكبرى في البلاد.

كما يعدّ الإقليم مركزا اقتصاديا حيويا لاحتوائه على منطقة زراعية تنتج مزروعات مهمة مثل السمسم المعد للتصدير، كما تضم صناعات تنتج على المستوى الوطني. لكن تقارير ذكرت أن مواقع صناعية بارزة، بما فيها أكبر معمل للنسيج في إثيوبيا، تعرّضت للنهب على أيدي قوات إريترية خلال النزاع.

وعلى صعيد سياسي وعسكري، هيمن إقليم تيغراي عبر جبهة تحرير شعب تيغراي على الهيئات السياسية والأمنية في إثيوبيا بين 1991، حين أسقطت دكتاتورية الحكومة العسكرية المؤقتة لإثيوبيا الاشتراكية، وحتى وصول أبي أحمد إلى السلطة عام 2018.

وحُكمت إثيوبيا خلال الجزء الأكبر من تلك الفترة من قبل زعيم تيغراني ملس زيناوي.

لكن منذ تولى أبي المتحدّر من عرقية أورومو، السلطة بدأ إبعاد قادة الجبهة تدريجيا من مناصب المسؤولية في أديس أبابا، فانتقلوا إلى المعارضة، ما حدّ من نفوذها السياسي، فانكفأت إلى تيغراي حيث أعادت ترميم شرعيتها في تحد لأديس أبابا من خلال تنظيم انتخابات لم تصرّح السلطات بها في سبتمبر.

مواقع أثرية ودينية في مرمى رصاص المقاتلين